http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد(1640) السنة السابعة -الاربعاء (28) تشرين الاول 2009

ما تبقى منهم لعب وأسرّة

تفجيرات الأحد تذبح البراءة في حضانة أطفال وزارة العدل

ماذا جنت الطيور؟

قبل ٨٧ يوما ذهب زهاء ٧٠ طفلا كانوا في حضانة وروضة وزارة المالية ضحايا لعمل ارهابي، واليوم نحو هذا العدد من الاطفال ذهبوا ايضا ضحايا لتفجير الاحد الدموي والذين كانوا موجودين في حضانة وزارة العدل لحظة القيامة التي اتتهم في غير موعدها!
في روضة مجلس القضاء الاعلى الواقعة في الطابق الارضي من وزارة العدل، تناثرت اشلاء الاطفال وتطايرت احلامهم مع غبار التفجيرات ، وتحولت الروضة في لحظات الى ركام من الدمى والأسرّة والصور. ٥٠ طفلا بين شهيد وجريح، من اطفال الموظفين في الوزارة ، كانوا ضحايا لتفجير اعمى، لا يمكن تبريره تحت اية واجهة أو شعار.

ايناس طارق - وائل نعمة
بغداد

انتظار الأمهات

ماذا بإمكانك ان تصف أو تقول عن منظر امهات يقفن عند ابواب وزارة العدل بانتظار ان ترى الواحدة منهن طفلها يخرج اليها من بين ركام الموت كما اودعته صباحا في الحضانة ! تقول سندس (موظفة في وزارة العدل) :<تهشم زجاج النوافذ، قتل الناس بالداخل ورأيت موظفين بالوزارة وحراس أمن من بين الضحايا، اصاب الهلع جميع الموظفين خصوصا الامهات ، بعد ان اصبن وغرقن بدمهن بدأن بالصراخ والبكاء وهن يحاولن النزول من الطبقات العليا لانقاذ اطفالهن في الروضة التي تقع في الطبقة الارضية.
سارة احمد موظفة في الدائرة الادارية كانت حزينة وتبكي بشدة لفراق ابن زميلتها الذي كان يلعب مع الاطفال في الروضة ، تقول: جئت اليوم لاتفقد ابن زميلتي الموظفة في قسم الرواتب بعد ان جرحت في الانفجار ونقلت الى المستشفى ،ولانها لاتستطيع المغادرة طلبت مني ان ابحث لها عن ابنها احمد البالغ من العمر خمس سنوات لعلي اجده على قيد الحياة ! والحقيقة المرّة هي ان الطفل احمد قد تحوّل الى جثة هامدة بين الانقاض .فهل بالامكان تصور حالتي ووضعي النفسي وانا اخبرها بموت طفلها !
يقول ميثم كاظم موظف في الوزارة وهو مصاب بجروح طفيفة في يديه ووجهه لكنه كان شديد التوتر والقلق: انا هنا منذ ليلتين لعلي اجد ابني حيدر البالغ من العمر اربع سنوات الذي كان بصحبتنا في ساعات الصباح الباكر ، فانا موظف وزوجتي ايضا وقبل حدوث الانفجار جاءت والدته اليه وقدمت له بعض انواع الشكولاته التي طلبها في ذلك اليوم المشؤوم ، لكن لا اعلم اين اصبحت والدته وماهو مصير حيدر؟! ذهبت الى جميع المستشفيات لم اجد جثتهما ، والان الرجال الذين يرفعون الانقاض يقولون ان جثتيهما قد تكونان تطايرتا اشلاء بسبب قوة العصف ولااعلم ماذا افعل ، انا في حيرة من امري،لكن اريد ان اسأل المجرمين.. ماذا جنيتم من فعلتكم هذه؟

اختلف العدد والضحية واحدة

البعض يقول ان عدد الاطفال في الحضانة كان ٧٠ طفلا واخرون قالوا انهم ٥٠ ولا احد يعلم العدد الصحيح غير المعلمات اللائي اصبحن ضمن الضحايا ايضا و المعلمة التي انقذت هي الآن في اروقة مستشفيات بغداد تصارع الموت لان الاصابة كانت في الراس .
وذكر عدد كبير من رجال الامن المسؤولين عن حماية وزارة العدل ان عدد الاطفال المصابين كان كبيرا جدا فضلا عن وجود اطفال غادروا الحياة فور حدوث الانفجار او اثناء نقلهم الى المستشفيات لان غالبية اصاباتهم كانت في الراس نتيجة سقوط السقوف الثانوية.

شاهد عيان

اما المواطنون فقد قالوا ان ما يقارب ٣٠ طفلا تم نقلهم وهم ينزفون دما الى المستشفيات ومنها مستشفى الطفل العربي والكندي والكرامة، يقول احمد وهو رجل امن في وزارة العدل: لقد نقلت ما يقرب من عشرين طفلا بعضهم كانت اصاباته بليغة والبعض الاخر طفيفة وقد ساعدني اصحاب المحال القريبة والمواجهة لبناية وزارة العدل بنقلهم لكن بعد ذلك لا اعلم مصير بقية الاطفال لانني بدأت بمساعدة رجال الانقاذ لنقل الضحايا من الموظفين وذلك بحكم وظيفتي.

البحث عن لعبة طفل

استطعنا الدخول الى مبنى الروضة لكن بصعوبة وحذر لان السقوف والزجاج كانا لا يزالان يتساقطان بين لحظة واخرى، وما شاهدناه من دمار وسقوط سقوف وتحطم زجاج، وانقلاب الاسرة وتناثر وتمزق لعب الاطفال كان كاف لتصور ماحصل للاطفال وعدد الشهداء فيهم فضلا عن الجرحى.وقد قال لنا العقيد سعد خلف مسؤول امن الوزارة :لايمكن اعطاء احصائيات دقيقة عن عدد الاطفال المصابين ، لكن غالبية الاطفال هم على قيد الحياة واصاباتهم كانت طفيفة ، ولا تثير القلق ، وفيما يخص عدد الاطفال الموجودين اثناء حدث الانفجار قال سعد خلف: انهم كانوا بحدود ٧٠ طفلا. في اثناء حديثنا مع العقيد ، شاهدنا الام فاطمة تجهش بالبكاء وتبحث بين لعب الاطفال عن لعبة ابنتها مينا!

ليلة الشموع

بعد ان تركنا الالم والحزن في الروضة المهجورة المسكونة بأرواح الاطفال الابرياء ، توجهنا الى الاهالي من سكنة المنطقة المقابلة للوزارة والذين جلسوا على الارض وقد قضوا ليلتهم الحزينة الطويلة على الرصيف ، وتركوا الهواء يدخل ويخرج عبر نوافذ بيوتهم المحطمة دون استئذان. يقول كريم ابو محمد(٤٠ سنة)، وكان قد افترش الرصيف ليلة الانفجار، وعيناه تعلقت بالرافعات والجرافات التي ما سكت صوتها بحثا عن الاشلاء.
ابو محمد أحد سكنة الشقق التي تقع مقابل وزارة العدل التي اصابها احقاد القتلة بالدمار قال: كيف لي ان ادخل الى الشقة ولم يبق فيها غير جدران صامتة ، فالسلالم التي تؤدي اليها قد سقطت ، واضاف : لقد ارسلت اهلي الى اقاربهم وانا بقيت هنا وحدي قرب الشقة مواساة للجيران.
فيما قال صبيح حمودي صاحب مقهى مقابل الوزارة: أن اهالي المنطقة قد اوقدوا الشموع من حول مكان التفجير بينما كانت اصوات المصابين تحت الانقاض مسموعة.
وشكا صبيح من ان القوات المكلفة بالانقاذ قد توقفت عن العمل والانقاذ بعد الساعة الثانية بعد منتصف الليل واستأنفوا عملهم في الساعة السادسة صباحا.

البحث عن الأمل

ثائر شاب في مقتبل العمر واسمه لايدل على هدوئه فقد كان صامتا يحدق في ماتبقى من مبنى وزارة العدل ينتظر احد الموظفين وصديق الطفولة لعله يجد جثته بعد ان فقد الامل بوجوده حيا، حيث قال والدموع كانت قد سبقت كلماته : اني اقف هنا منذ ليلة ولم ابرح مكاني لاني لااستطيع ان ادخل البيت فأصدقائي يعملون في الوزارة وهم مازالوا تحت الانقاض ، واليوم صباحا شاهدت جثتين قد اخرجتا من تحت الانقاض ، احداها نصف جثة، قد هرعت املا ان اتعرف على ملامح احدهم ، لكن لم ار غير قطع مفحمة لم يبق النار لها ملمحا.
واردف قائلا: ربما يحتاج احد الى مساعدتي ، وقد حاولت مرارا ان اساعد القوات الامنية لكنهم رفضوا دخولي الى الوزارة.

لا ماء ولاكهرباء

ام سعد تحمل الملابس على رأسها وتوجهت الى دجلة لتغلسها وتغسل همومها معا، وعن سؤالنا لها لم تحملينها الى النهر قالت: الماء انقطع عن المنطقة منذ لحظة الانفجار ونحن بدونه وبدون كهرباء ايضا فكيف نستطيع ان نكمل يومنا دون الاثنين؟ واضافت: ليس المهم ان ينقطع الماء والكهرباء مقابل الضحايا الذين ذهبوا من دون سبب غير انهم عراقيون.

لحظة الانفجار

احد الموظفين العاملين في مجلس شورى الدولة الواقع في نفس البناية التابعة لوزارة العدل ابو سلام ٥٥ سنة وهو احد الساكنين بالمنطقة ايضا ، ذكر ان حالة الفوضى والتدافع وعدم معرفة مايجري ادى الى احداث وفيات اكبر، لان الكثير من العاملين لم يعرفوا ماذا يفعلون والى اين يتجهون، ويضيف ، ان الامر اصبح كالزلزال او هو (الزلزال). بعد الركض وقفز السالم والسقوط والنهوض مجددا محاولا ان اتحدى عمري الكبير استطعت ان اجد باب الوزارة دون ان اشعر بالجروح التي ملأت جسدي. وقال علي حمزة موظف في وزارة العدل والساكن قرب الوزارة ايضا ان الانفجار قذفه بعيدا عن مكتبه ما تسبب باصابته بجروح كبيرة وتدمير طوابق الوزارة الستة وذكر بان الانفجار لم يبق اثرا لنقطة تفتيش الشرطة التي كانت قبالة وزارة العدل.

قطع الأرزاق

اما عمار حيدر صاحب احد المطاعم المقابلة للوزارة فقد اشتكى من فقدانه لمصدر رزقه. يقول: انا اب لخمسة اطفال واسكن في بيت مؤجر، وليس لي غير هذا المطعم الذي يحمي اطفالي من الجوع والعوز. وكان مطعم عمار قد تحطم بكل مافيه ولم يبق شيء على حاله. وطالب من الحكومة ان تقوم بتعويضه عن الاضرار التي حلت بمطعمه. لم يكن عمار هو وحده من طالب بالتعويض بل انضم اليه الكثير من اصحاب المحال القريبة من الوزراة والذين تعرضوا الى اضرار مادية وبعضهم من سقط عليهم زجاج الواجهات وكان نصيبه مجموعة من (القطب) في رأسه.

التعويضات هل ستصلنا؟

عامر سليم ٣٨ سنة صاحب احد المحال لبيع المواد الالكترونية ويقع محله في نفس المنطقة شكك في مسألة التعويضات وأثرها في الملمة جراح العراقيين، وقال: ان نفعت التعويضات في اعادة بعض الجدران والزجاج الى ما كانت عليه فكيف يمكنها ان تعيد الارواح التي زهقت والابرياء الذين ذهبوا من دون ذنب.
ومن جهة اخرى ذكر بعض اصحاب المحلات بأن التعويضات بأي حال من الاحوال لن تعطى لانا نعتبر خارج خارطة التعويضات، كما شهدوا في التفجير السابق الذي اضر بشقق مجمع الصالحية ودور السكك حيث لم يعط التعويض الا للاقرب من مكان الانفجار والباقي قد خرج من دائرة التعويضات، ويعتقد البعض بأن حالهم سيكون حال ساكني مجمع الصالحية.

بانتظار الامل وسط الخراب

بغداد من مقابر جماعية الى قبور مفتوحة

ترجمة: ابتسام عبد الله

كانت صورة ظهرت في موقع التايمز والتي جعلت دقات قلبي تتسارع، وتبطل مفعول الادرينالين وتجعلني احس بمذاق شيء صلب لا طعم له في فمي. بغداد مبانيها واشجار نخيلها ملفوفة بالدخان. جالسة عند المائدة في مطبخي استطعت سماع الدوي، وشم رائحة الدخان في شارع حيفا.

مدينة ينفجر فيها الموت

بقيت أرقب التلفزيون وهو يبث الخبر المصور عن الانفجارين، حتى أظهرت العدسات رجلاً جريحاً، يغادر الموقع، ذاهلاً وهو يصرف المصورين الذين ارادوا إيقافه، كأنما قناعه الثابت سوف ينزلق وتنفجر أحزانه الكبيرة على الرصيف، انه كان وجه سكان بغداد.
بامكاني الحديث عن الاوضاع في مدينة ينفجر فيها الموت عليك في اية لحظة، من سيارة في مرآب، من عربة يجرها حمار، من فرد ملفوف بعباءة، ولكني لا استطيع التحدث عما عليه الحال عندما يكون مكان مثل هذا وطناً لك، ان يتحول بلدك من مكان مقيد بقوانين الى اخر ذو فوضى غير عقلانية.

دراسة نفسية

قبل اعوام وفي عملي الاول كمراسلة في كمبوديا، رافقت طبيباً نفسياً الى مخيم لاجئين يضم آخر المدنيين الذين بقوا تحت الحكم الاستبدادي للخمير الحمر، لمحاولة دراسة النفسية الكمبودية، والتأثيرات السلبية المختلفة عليها، واكتشف الطبيب ان الاثر الاسوأ في تاريخ كمبوديا لم يكن مرحلة حكم الخمير بل قصف الطائرات الاميركية الذي سبقه فخلال حكم الخمير القاسي كان بامكان المرء، التلاعب مع القوانين الجائرة ، اما خلال الحرب الفيتنامية، فقد كان من الصعب معرفة متى سيسقط الموت على المرء من السماء. فكرت في هذا الامر وانا اتذكر بغداد عام ٢٠٠٣ ، عندما بدأت اولى القنابل تنفجر فيها امرأة تصيح، تشق عباءتها وصرخت في وجهي، وقفت بلا حراك، عند البرك الصغيرة من الدماء واللحم التي تشكلت إثر انفجار سيارة ملغومة.
ولولت المرأة: صدام قتل الناس في مقابر جماعية، والان تحولت الشوارع الى قبور مفتوحة ، هذه العبارة اصبحت لازمة ارددها إثر كل انفجار.
ان عشوائية القنابل الانتحارية افسدت نظام الكون، فوضى حقيقية تحكمه الان، وحتى عام ٢٠٠٥، كان الغربيون يصطادون بالقتل او يخطفون ، ولكن صديقة اميركية لي تعمل في المساعدات الانسانية، قتلت في انفجار انتحاري لم تكن ابداً مقصودة به.

سرقة المخدرات من الصيدليات

وهناك خرافة تقول ان الناس الذين يعيشون في مناطق الحرب يعتادون المجازر، الامر غير صحيح ، ففي نهاية عام ٢٠٠٥ ، اعلنت وزارة الصحة في العراق انه بعد دراسة نفسية استرشادية وجدت ان ٩٠٪ من البالغين في بغداد يعانون القلق والتوتر إثر التجارب التي مرت بهم في الحروب، ومن الف شخص ، يتبين ان (٨٩٠) منهم قد شهدوا بشكل مباشر موتا اثر اعمال عنف، ومن بينهم (٢٧) طفلاً تحت سن الـ (١٢) وتلك الدراسة تدل على مدى تماسك وتشابك مؤسسات بغداد المكافحة بماضيها عندما كانت مركزاً للعلوم. ولكن المحاولات للتغلب على المشاكل جاءت قليلة، فأكثرية اطباء وعلماء النفس قد غادروا البلاد.
ومن دون وجود مساعدات وعلاج من قبل المختصين فان الحالة تتفاقم ، وكان الاختيار في بغداد الاتجاه نحو المخدرات ، وفي مدينة الصدر وهي افقر الاحياء، هاجم اناس احدى الصيدليات وسرقوا ما وجدوا من مخدرات لعدم وجود نقود لديهم.

بغداد تتحول إلى أحياء طائفية

وفي عام ٢٠٠٦، ازدادت المذابح حجما مع العنف الطائفي، مضافاً الى ذلك السيارات المفخخة، وازدياد حالات الخطف والقتل والتعذيب والاغتيالات بواسطة سيارات عابرة، وتواصلت العشوائية ولايعرف المرء متى يقتل ومن أين تأتي الضربات، وسرعان ما بدأت بغداد تدريجياً تتحول الى احياء طائفية، وبناء جدران ضدها ، من اجل السيطرة عليها.

اربعة ملايين غادروا الوطن

هذا التقسيم لايذكر الا نادرا من قبل اولئك الذين يتحدثون عن سلسلة العنف الدراماتيكي، وبعد ان اصبحت كل طائفة داخل جدرانها الاربعة، لم يتبق لها من تقتل، ولكن الناس ما زالوا يقتلون في بغداد، وبالمئات.
وقد غادر العراق منذ عام ٢٠٠٣، اربعة ملايين شخص ، ولم يعد الا القليل منهم. والمذبحة الاخيرة في يوم الاحد ستذكرهم بالسبب الذي جعلهم يغادرون الوطن، وفي بيوتهم الجديدة يجلسون متوترين يشاهدون التلفزيون وكأنهم قد عادوا اليه، وكأنهم قد فقدو السيطرة على انفسهم من جديد.

عن التايمز

بغداد سماءها دخان

ثلاثة ملايين قطعة عسكرية اميركية بانتظار مغادرة العراق عقب نجاح الانتخابات

الكويت / رويترز

بدأ الجنود الاميركيون في العراق جمع متعلقات بينها أدوات للرقص ولحوم معلبة فاسدة عمرها ست سنوات وشاحنة جديدة تماما لم تستخدم بينما يستعد الجيش للانسحاب من البلاد.
وبينما ميزت مأساة الغارات الجوية والاشتباكات التي بثتها القنوات التلفزيونية على الهواء الحرب الاميركية في العراق عام ٢٠٠٣ فان حزم الامتعة للعودة الى الوطن هو عملية أكثر رتابة واثارة للضجر بالنسبة لاخر مجموعة من الجنود تغادر البلاد. ويجب حصر أكثر من ثلاثة ملايين قطعة من المعدات العسكرية المنتشرة في شتى انحاء العراق وتبلغ قيمتها ٣٦,٤ مليار دولار قبل انسحاب القوات الاميركية المقرر عام ٢٠١١. وقالت جوين ساندرز السارجنت بسلاح المدفعية في مركز نقل عسكري أميركي بالكويت وهي بسبيل العودة للعراق لاعداد فهرس بالمعدات «لا أصدق كمية القطع عديمة الفائدة التي جمعت. «لم ينتبه احد حقا لتلك المسؤولية حتى وقت الانسحاب. الكثير من الجنود يتساءلون (لماذا علي أن أنظف المكان خلف الجميع لمجرد أنني اخر المغادرين؟)» ويستعد الجيش الثالث الأميركي المسؤول عن نقل المعدات والافراد للقيام بنشاط كبير. وتراجعت وتيرة العنف في العراق بشكل كبير منذ أحداث العنف الطائفي الاسوأ التي سببتها الحرب وكبر حجم الجيش العراقي وازدادت ثقته كما يحرص قادة البلاد على تأكيد سيادة العراق واستقلاله. ولكن الكثير يتوقف على نتيجة الانتخابات النيابية التي ستجرى في كانون الثاني في تطور مهم لديمقراطية العراق وكذلك على قدرة البلد على حماية نفسه مع انسحاب القوات الاميركية. وألقى تفجير انتحاري مزدوج قتل ١٥٥ شخصا على الاقل في بغداد يوم الاحد بظلال من الشك على قدرات قوات الامن العراقية. ويحجم قادة الجيش الأميركي عن المخاطرة بالتسرع في نقل معدات الجيش من العراق اذ ربما تظهر الحاجة لها مجددا. وقال البريجادير جنرال مارك ماكارلي وهو مسؤول لوجستي عسكري كبير بمعسكر عريجان مقر الجيش الثالث في الكويت «نحن نستعد لزيادة كبيرة في عمليات سحب المعدات حال نجاح الانتخابات ومرورها بسلام.» لكن بعض العمل تم انجازه رغم حالة عدم اليقين.
وتضاعف عدد المركبات العسكرية الاميركية التي تنقل الى خارج العراق في الفترة الاخيرة الى نحو ثلاثة الاف مركبة شهريا وخصصت وحدات لتعقب المعدات الاميركية وتسجيلها قبل أن تعاد الى الولايات المتحدة أو يعاد نشرها أو بيعها أو منحها للعراق مجانا. وبدأ توسيع القدرة الاستيعابية للجمارك مثل اتاحة صالات واسعة لتفتيش القوات المغادرة وحقائبهم وورش عمل لتنظيف المركبات قبل اعادتها للولايات المتحدة.
وتعهد ماكارلي»بأفضل تخطيط وأفضل تنفيذ» لعملية نقل الافراد والمعدات في تاريخ العسكرية الحديثة وبدا عازما على تجنب الاخطاء التي وقعت في حملة عاصفة الصحراء التي قادتها الولايات المتحدة عام ١٩٩١ لتحرير الكويت من جيش صدام. وقال «منينا بخسائر كبيرة في المعدات. عثر على بعضها بعد سنوات وفقد بعضها للابد. لن نسمح بتكرار ذلك.» وتمر معظم المعدات الاميركية والافراد الذين يغادرون العراق عبر الكويت البوابة الرئيسية للعمليات الاميركية في الشرق الاوسط ومركز القوات المنتشرة في أفغانستان.
ويستعد المسؤولون في مدينة خيام مترامية الاطراف أقيمت للافراد الأميركيين المارين بالكويت لرحيل أكثر من ١٠٠ ألف جندي أميركي من العراق. وقال اللفتنانت كولونيل سيسيل وارين مدير النقل بالمعسكر «الامر أشبه برعاية القطط. يمر عدد كبير جدا من الافراد.»
ويستقبل المعسكر من ٢٠٠٠ الى ٣٠٠٠ فرد يوميا. وخصصت نصف مساحة احدى الخيام لاعداد جنود معظمهم متجهم الوجه لنشرهم في مناطق أخرى أما النصف الاخر (الجانب السعيد) فقد خصص للجنود العائدين للوطن.